المجلة العربية، جامعة داكا

المجلد العشرون، يونيو ٢٠١٩ م

الاتجاهات الإسلامية في شعر عبد الله بن رواحة

الدكتور قمر الزمان شميم *

Abstract

Abdullah bin Rawaha was one of the greatest companions of Rasulullah sallallahu alaihi wasallam. He was known as a famous poet of Islamic period and a significant figure of Muslim Military. He helped the Rasulullah sallallahu alaihi wasallam by fighting against the enemies of Islam and writing poems against anti-Islamic poets. He wrote poetry in period of Ignorance and Islam. He presented his poetic power in the time of ignorance to show pride and enthusiasm for himself and his tribe as well as the disclosure of the spelling and antiquity to his audience. But after his entering in Islam he exposed his genius of poetry in support of Islam and Muslims and defense of religion and Rasulullah sallallahu alaihi wasallam. He was especially distinguished for his Islamic trends in poetic objectivity by preserving the style, purity and essence of Arabic literature. This article emphasizes the Islamic trends in the poetry of Abdullah bin Rawaha through the analysis of poems written after entering in Islam. In addition, a brief life sketch and the poetic genius of this prominent figure with a reference to some features of his personality are also discussed in this essay.

Keywords: Abdulullah bin Rawaha, Short biography, Features of personality, Poetic genius, Islamic trends

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

* أستاذ مساعد، قسم العربية، جامعة داكا
shamimdu2@yahoo.com

الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه كان أحد الشعراء الثلاثة الكبار[١] الذين أجابوا عن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للجهاد في سبيل الإسلام والدفاع عنه من طعن الشعراء المشركين بالشعر. أنه نظم الشعر في الجاهلية والإسلام، وقدم قوته الشعرية في الجاهلية في إظهار الفخر والحماسة لنفسه وقبيلته، وإفشاء الهجاء والنقائض لخصومه، إلا بعد أن دخل في الإسلام قد عرض عبقريته الشعرية في نصرة الإسلام والمسلمين والدفاع عن الدين، كما أنه نصر الله ورسوله بالسيف في ميدان القتال وتضحية النفس في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى في الأرض. فيحاول الباحث في هذه المقالة أن يقدم الاتجاهات الإسلامية للشاعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه من خلال تحليل أشعاره التي قرضها بعد دخوله في الإسلام، كما أنه يسعى أن يناقش العبقرية الشعرية لهذه الشخصية البارزة مع الإشارة إلى ذكر نبذة من حياته، لكي يكون القراء والدارسون على الدراية الكاملة منه. والله الموفق والمعين

نبذة عن حياة عبد الله بن رواحة

هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي[٢] إلى بني الحارث أحد بطون قبيلة الخزرج الأزدية، وكان ابن رواحة يكنى بأبي محمد، وقيل أبي رواحة، وقيل أبي عمرو، واسم أمه كبشة بنت عمرو،[٣] كانت مكانة أسرته رفيعة في قبيلة الخزرج، حتى كانت من سادتها التي تُحكِّم بين الناس في نزاعاتهم وخصوماتهم. فهذه السيادة انحدرت إلى دم ابن رواحة، وأنه كان أيضا عظيم القدر والمنزلة في قومه، كما ذكر ابن سلام عنه: "وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه عظيم القدر في قومه، سيِّد في الجاهلية".[٤]

ولد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في المدينة المنورة التي تُسمّى يثرب في الجاهلية، وترعرع وشب فيها. قد أخبر التاريخ والرواية شيئا قليلا من حياته المبكرة فعُلِمَ منه أن أُعتُني عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بنشئته وتربيته منذ صغر سنه، وهو يعلم فن

الكتابة الذي كان يكتب به مختلف القضيات والمسائل في الجاهلية، ويعرف عددٌ قليلٌ بين العرب فن الكتابة في ذلك الوقت، لأنهم كانوا من الأمِّيين،[٥] ولا شكَّ فيه أن معرفة الكتابة تُعَدُّ يومئذ من الدرجة الرفيعة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم اختاره نقيبا لقومه في البيعة الثانية وعيَّنَه كاتبا بعد الهجرة لأجل هذه الدرجة العظيمة من السيادة والمعرفة التي جعلته الشخصية الفذة بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قد أظهر مختلف المصادر عن الاحتمال بأن ابن رواحة رضي الله عنه دخل في الإسلام قبل بيعة العقبة الثالثة، ولكن ذكر بعض الرواة بأن لقِيَ ستة نفر من الخزرج من يثرب رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم في موسم الحج في السنة الحادية عشر من البعثة. دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام بموعظة حسنة، فقبلوا الإسلام في يده وآمنوا به، وبايعوه بإذاعة دين الإسلام وإفشاء أمره في قومهم. وكان ابن رواحة رضي الله عنه في هذا الوفد وأسلم معهم.[٦] واشتهرت هذه الملاقاة ببيعة العقبة الأولى في التاريخ.

ثم انصرف هذا الوفد إلى يثرب وقاموا بدعوة الإسلام فيها بناءً على المبايعة مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، حتى قرعت دعوتهم كل باب من يثرب وبثّ أمرهم عند كل فرد من المجتمع، فلقي اثنا عشر يثربيا النبيَ صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية عشر من البعثة في العقبة، وبايعوه على السمع والطاعة والدعوة، وأرسل معهم مصعب بن عمير لتعليم القرآن وتفهيم الإسلام، و كانت هذه المبايعة مشهورة ببيعة العقبة الثانية.

وفي السنة الثالثة عشر من البعثة جاء وفد مكوَّن من ثلاثة وسبعين شخصا إلى مكّة في موسم الحج، فبايعوه على السمع والطاعة أيضا، وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في مقدمة هذا الوفد فأكد إسلامه، وسميت هذة البيعة بالعقبة الثالثة. ثم أراد الرسول الأعظم عليه الصلاة والتسليم أن يختار لهم نقباء، فقال لهم: "أخرجوا إليّ منكم اثنى عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبًا، تسعة من

الخزرج وثلاثة من الأوس".[٧] وكان ابن رواحة رضي الله عنه أحد هولاء النقباء الذين اختارهم القوم.

ولما استقر الإسلام في يثرب، أراد النبي عليه الصلاة والسلام الهجرة إليها، ففي ربيع الأول من السنة الرابعة عشر من البعثة هاجر مع رفقائه إليها، وسمّاها بالمدينة المنورة. ثم آخى بين الأوس والخزرج وسمّاهم الأنصار، كما سمّا الذين هاجروا معه من مكَّة بالمهاجر، وآخى صلى الله عليه وسلم أيضًا بين الأنصار والمهاجر، فاختار لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه المقدادَ بن الأسود رضي الله عنه،[٨] فصار الرجان الجليلان أخوين في الله تعالى.

بعد دخول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في الإسلام ضحى حياته لبثّ الإسلام وإذاعة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في أرض الله تعالى، وقد لعب دورَه في الخدمة الإسلامية فارسا ومقاتلا، حتى لا يتأخّر عن أداء مسؤوليته أبدًا، ولا يتواني في الخروج في سبيل لله قطُّ، وقد حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع المقاتل بما فيها بدرًا وأحد والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء، إلا فتح مكَّة وما بعده، لأنه كان اُسْتُشْهِدَ في مؤتة سنة ثمان من الهجرة، وقد أحس بعض التردد في نفسه في المقتل قبل الشهادة، فسرعان ما تشجّع نفسه، وأقبل إلى أعداء الإسلام في المعركة قائلا نفسه:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ** لتنزلنه أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة ** ما لي أراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنة ** هل أنتِ إلا نطفة في شنة[٩]

ثم راح يقاتل بالبسالة وشجاعة في سبيل الله حتى اُسْتُشْهِدَ، وقد علّق صاحب الإصابة بشأنه: "أن عبد الله بن رواحة كان أول خارج إلى الغزو، وآخر قافل".[١٠]

وعُرف من التاريخ أنه لم يترك بعد الشهادة من خلفه عقبًا،[١١] ولكن أخبر بعض الروايات عن بعض أزواج ابن رواحة رضي الله عنه بعضا من ملكت يمينه من الجواري والإماء.

بعض ملامح شخصية عبد الله بن رواحة

كان عبد الله بن رواحة متشددا في الإيمان ومتمسِّكا بالدين ومتبعا بتعاليم رسول لله صلى الله عليه وسلم وطاعته حتى اقتدى به في كل شيء وسرى في هداه في جميع أمور تُوضِح لنا ما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: "لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَمَا مِنَّا أَحَدٌ صَائِمٌ إِلاَّ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رضي الله عنه.[١٢]

وأخبرت امرأته بعد موته شهيدا في غزوة مؤتة، أنه كان يصلى قبل أن يخرج من بيته ركعتين، وإذا دخل صلى ركعتين، وكان لا يترك ذلك أبدا.[١٣]

روي عن أبن أبي ليلى أنه أتى النبي يوما وهو يخطب، فسمعه وهو يقول: اجلسوا، فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ من خطبته ... فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذلك ابن رواحة سمعك وأنت تقول للناس: اجلسوا، فجلس في مكانه، فقال له: زادك الله حرصًا على طواعية الله وطواعية رسوله.[١٤] وكان يذكر ربه دائما ويسعى إلى العبادة كاملا ويكثر الطاعة تماما حتى إذا لقي الرجل من أصحابه، يقول له تعال نؤمن بربنا ساعة.[١٥]

وكان مؤمنا صادقا وحاكما عادلاً ورجلا ذا ورعٍ وأمانة يخاف الله ويتقيه دائما، فرُوي كان عبد الله بن رواحة يأتي يهود خيبر كل عام فيخرصها عليهم ثم يضمنهم الشطر، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله تطعموني السحت، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي، ولأنتم أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والارض.[١٦]

وكان ابن رواحة رضي الله عنه يحترم رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا حتى اقتدى كل أمر وفعل في حياته قبل كل شيئ، والرسول صلى الله عليه وسلم أيضًا يُحبّه كثيرا

حتى حصلت مكانة عالية له في نفسه، حيث أثنى عليه، ودعا له قائلا: "نعم الرجل عبد الله بن رواحة".[١٧]

العبقرية الشعرية لابن رواحة

كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه شاعرا مخضرما أدرك عصر الجاهلية وعصر صدر الإسلام، قضى أكثر حياته في العصر الجاهلي، وعاش فترة قصيرة في العصر النبوي، وكان عظيم القدر وذو السؤدد في قومه لشخصيته البارزة وشاعريته القوية في الجاهلية، حتى شهد له كثير من أهل العلم والكتاب بهذا الصدد، حيث قال ابن سلام: "وعبد الله بن رواحة عظيم القدر فى قومه سيد فى الجاهلية ليس فى طبقته التى ذكرنا أسود منه شهد بدرا"،[١٨] وقال عنه ابن عبد البرّ: "عبد الله بن رواحة كان أحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٩] وكذلك كان ذو المكانة العالية في العهد الإسلامي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شهد لمكانته الشعرية، حيث اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم كاتبا.

وكان معظم الشعر الجاهلي لابن رواحة رضي الله عنه يدور حول المناقضة لشعراء خصومهم خاصة شاعر الأوس قيس بن الخطيم لأنه كان حينئذ مع أخيه القبلي حسان بن ثابت رضي الله عنه اللسان المعبر عن قبيلته الخزرج ضد الأوس في الحروب والخصومات، وكانت له ريادة بين معاصريه من قبيلته في هذا المجال، فكان يناقض شديدا قيس بن الخطيم رادّا عليه لما قال له، ومدافعا عن قومه، حيث قال رادّا عليه:

نحامي على أحسابنا بتلادنا ** لمفتقر أو سائل الحق واجب
ومعترك ضنك يرى الموت وسطه ** مشينا له مشي الجمال المصاعب
برجل ترى المآذي فوق جلودهم ** وبيضا نقيا مثل لون الكوكب
وهم حسر لا في الدروع تخالهم ** أسودا متى تنشأ الرماح تضارب
معاقلهم في كل يوم كريهة ** مع الصدق منسوب السيوف القواضب[٢٠]

ولما ظهر نور الإسلام وبدأ الصراع المسلح بين الإسلام والكفر كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه من الأوائل الذين سلّوا أسلحتهم لنصرة الدين والمسلمين، وأظهروا قوة شعرهم للدفاع عن الإسلام والموحدين، واختاره النبيُ صلى الله عليه وسلم مع حسّان بن ثابت رضي الله عنه وكعب بن مالك رضي الله عنه للرد على شعراء المشركين الذين يهجون الإسلام والمسلمين، وكان حسّان بن ثابت رضي الله عنه وكعب بن مالك رضي الله عنه يردّان شعراء الكفار بمثل قولهم بالأيام والوقائع والمآثر، وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يعارضهم بالكفر والشرك، فكان أشد القول عليهم آنذاك هو قول حسان بن ثابت رضي الله عنه وكعب بن مالك رضي الله عنه، وأما قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فكان هينا عليهم، فلما قبلوا الإسلام بعد أن ظهر عندهم أنه دين الحق، فكان أشد القول عليهم هو قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه.[٢١]

ولما نزل قول الله تعالى: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ.[٢٢] أخذ عبد الله في البكاء، وقال لنفسه: قد علم الله أني منهم، فنزل قول الله تعالى: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون.[٢٣] ففرح عبد الله بذلك، واستمر في نصرة المسلمين والدفاع عن الدين بشعره.

كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه شاعرا طبيعيا وماهرا في قريض الشعر فوريا بسرعة، حيث روى هشام بن عروة عن أبيه، قال: "ما سمعت أحدا أجرأ ولا أسرع شعرا من عبد الله بن رواحة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول له يوما: قل شعرا تقتضيه الساعة وأنا أنظر إليك"،[٢٤] فقال:

إنـي تَـفَـرست فيكَ الخيرَ أعرفُـــه ** واللهُ يـعـلـم أن مـــا خـاننني البَصَرُ
أنتَ النَّبي ومَن يُحرَم شَفَاعتـــــه ** يومَ الحِسَابِ فقَد أزري بـــه القَدَرُ
فثَبت اللهُ مـــا آتـاكَ مـن حَـسَـنٍ ** تَثبيتَ مُوسَى ونَصرًا كالـذي نَصرُوا
يَـا آل هَـاشِـــمَ إن الله فـضّـلكُـم ** عَلى البَريـــة فَضلًا مـا لَـــهُ غيرُ[٢٥]

فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه مبتسما، ثم قال وإياك فثبت الله.[٢٦]

يختص الشعر الجاهلي لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه بتلك المزايا الفنية التي يتخصص بها شعر معاصريه في الوزن والقافية والمعاني والأساليب والموضوعات والصياغات المحكمة، وكان شعراء الجاهلية يفتتحون قصائدهم غالبًا بالبكاء على الأطلال، ثم يأتون بوصف المركب من الإبل والخيل، وبعده يتناولون الغرض من المدح والرثاء والفخر والغزل والوصف وغيره، كذلك سلك عبد الله بن رواحة رضي الله عنه هذا المسلك في شعره، وكان جميع شعره في هذا الزمان من الشعر الغنائي، ولكن شعره الإسلامي يَتَلَوَّنُ بألوان الإسلام وتعاليم الدين، فلذا تحِلُّ الموضوعات الإسلامية من العقيدة والرسالة والجهاد ومدح النبي والآخرة محل الموضوعات الرائجة من الغزل والفخر والنسيب وما ذلك في ذلك العهد، لأن الإسلام أثّر بصورة واضحة في شعره مثل ذاته، وشجعه مباشرة بانعكاس الموضوعات الدينية في قريضه، والمعاني لشعره كانت بسيطة واضحة، ليس فيها غلو أو تكلف، كذلك كانت ألفاظ شعره متسما بالصياغة والتركيب الكامل مستعينا بالمحسنات اللفظية والمعنوية.

الاتجاهات الإسلامية في شعر عبد الله بن رواحة

لم يكن عبد الله بن رواحة شاعرا بسيطا، بل أنه كان من الشعراء الثلاثة الذين دفعوا أذى شعراء الكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بأشعارهم، ويمتاز شعره كله بعد أن دخل في الإسلام بالسمات الإسلامية والإتجاهات الدينية، فأهم الاتجاهات الإسلامية في شعره كما ذُكِرَ بالنقات الآتية:

١- مدح الرسول صلي الله عليه وسلم

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل البشر في البرية، والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يحبونه حبا شديدا من حياتهم، فحاول كل شاعر من الصحابة أن يشغل بنظم الشعر في حبيب الله صلى الله عليه وسلم، فكذلك قرض عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أبياتا كثيرة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يقل الشعر في المدح غير

النبي صلى الله عليه وسلم إلا قدرا يسيرا، فمن شعره في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قوله:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ** إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ** به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ** إذا استثقلت بالكافرين المضاجع
وأعلم علما ليس بالظن أنني ** إلى الله محشور هناك وراجع[٢٧]

ذكر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في هذة الأبيات المذكورة بأن النبي صلى الله عليه وسلم تلا علينا كتاب الله وأرانا الهدى، فاستطعنا به أن نهتدي إلى الصراط المستقيم.

ومن شعره أيضا قال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم حين وصل إلى المدينة بعد أن هاجر من مكة المكرمة، وهو على ظهر ناقته القصواء، فقال:

تحمله الناقة الأدماء معتجرًا ** بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم
وفي عطافيه أو أثناء بردته ** ما يعلم الله من دين ومن كرم[٢٨]

لاحظ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في البيتين المذكورين بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل بين عطافيه ذلك الدين العظيم داخلا في المدينة المنورة، فابتعدت ظلمة الشرك والكفر كما ابتعدت ظلمة الليلة بالبدر.

٢- الدعوة إلى الدين الإسلامي

امتاز شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بعد دخول نور الإيمان في قلبه بميزة جديدة، لأنه التزم نفسه بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وإطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بصورة كاملة، فيتوجه شعره إلى غرض نبيل من خدمة العقيدة الإسلامية الجديدة، ويترك الأغراض المعهودة في ذلك الحين من الغزل والفخر والنسيب، وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أكثر متأثر بروح الإيمان والدين من صاحبيه حسان بن ثابت رضي الله عنه وكعب بن مالك رضي الله عنه.[٢٩]

ومن شعره في هذا الموضوع ما أنشد في وقت دخول الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة لأداء عمرة القضاء في ذي القعدة لسنة سبع من الهجرة، فقال:

خلُّوا بني الكفار عن سبيله ** خلُّوا فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمنُ في تنزيله ** في صحف تُتلى على رسوله
بأنَّ خيرَ القتل في سبيله ** يا ربِّ إنِّي مؤمنٌ بقيله
أعرفُ حقَّ الله في قَبوله ** نحنُ ضربناكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله ** ضربًا يزيلُ الهَامَ عن مقيله
ويذهلُ الخيلَ عن خيله ** أو يرجع الحقُّ إلى سبيله[٣٠]

طلب الشاعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في الأبيات المذكورة إل الكفار للابتعاد عن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه يؤدي العمرة بالأمن والسلام، وذكر أنهم على ضلال وعصيان لله ورسوله وأن المسلمين على دين صحيح وعقيدة صالحة، ويدعوهم إلى الإيمان بالله واتباع رسوله.

٣- تشجيع المسلمين

كتب عبد الله بن رواحة رضي الله عنه عدة أشعار في بعض المناسبات لتشجيع المسلمين، وكان الغرض لهذه الأشعار هو بعث الهمة والنشاط في نفوس المسلمين في أوقات الشدة والتخفيف، وكان هذه الأشعار على بحر الرجز، ويلعب شعر هذا الموضوع دورا فعالا خاصة في أوقات الشدة، إذ كان يبعث الحماسة المتيقظة ويلهب العزائم المؤمنة، وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ينشد هذه الأشعار سلسًا وسهلًا التي يبين فيها الصدق والحرارة، فتشعل هذه الأبيات الهمم والحماسة في النفوس والقلوب، ومن ضمن شعر التشجيع له ينشدها المسلمون في وقت بناء مسجد قباء، وهم ينهمكون في تعميرها، فقوله:

أفلحَ من يعالجُ المساجدا
ويقرأ القرآن قائمًا وقاعدًا
ولا يبيت الليل عنه راقدا
ومن يُرى عن الغبار حائدَا[٣١]

وكان رسول الله صلى عليه وسلم يردد أيضا وراء المسلمين قافية كل بيت: مساجدا، وقاعدا وغيرها[٣٢]

٤- رثاء شهداء المسلمين

الرثاء من الموضوعات الجاهلية في الأدب العربي، ولما جاء الإسلام قَلّ الاهتمامُ بهذا الموضوع، ولكن بعض الشعراء من الصحابة نظم الشعر في الرثاء بقدر يسير لشهداء المسلمين، هكذا كان لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه عدة أشعار في رثاء شهداء المسلمين، ومن أهم شعره في هذا الموضوع نظم حول حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي شهد في غزوة أحد، وفجع المسلمون خاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعا شديدا لموته، لأن حمزة رضي الله عنه ليس رجلا عاديا، بل أنه كان من أسد الله، فقد رثاه عبد الله رواحة رضي الله عنه بقصيدة افتتحها باكيا عليه، وقال:

بكتْ عيني وحُقَّ لها بُكاها ** وما يُغنِي البكاء ولا العويلُ
على أسد الإلهِ غداةَ قالوا ** أ حمزة ذلكم الرجل القتيل
أُصيبَ المسلمون به جميعًا ** هناك وقد أُصِيب به الرسولُ
أبا يعلى لك الأركانُ هُدت ** وأنت الماجدُ البَرُّ الوصُول
عليك سلامُ ربك في جِنانٍ ** مُخالطُها نعيم لا يزولُ
ألا يا هاشم الأخبار صبرًا ** فكل فِعالكم حسن جميل
رسول الله مُصطبرُ كريم ** بأمر اللهِ ينطِقُ إذ يقُولُ[٣٣]

ناقش الشاعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في الأبيات المذكورة عن فجيعة المسلمين لاسيما النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، لأنه كان رجلا محترما وشريفا، فيدعو له الجنة إلى الله سبحانه وتعالى، ويلتمس إلى آل هاشم للصبر على فقده، ويدعوهم إلى الإقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الصبر.

٥- الزهد عن الدنيا وذكر الموت

ورد ذكر الموت والزهد عن الدنيا في شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بصورة مباشرة، وأنه قال الشعر بهذا الموضوع وقت الخروج إلى غزوة مؤتة في الثامن من الهجرة، والناس يُودِّعونه بالقلب الحزين، ويتمنون له العودة بالأمن والسلام، ولكنه أحس في قلبه بأنه لن يرجع من تلك المعركة، ويسأل الله تبارك وتعالى غفرانا وشهادة من قَرَارِ قلبه، ويتشوق لتلك اللحظة الأخيرة، فأنشد أبياتا سائلا عند الله المغفرة ومتمنيا في سبيله الشهادة وقال:

لـكنَّنـي أسـأل الرحمنَ مـغفرةً ** وضربـةً ذات فرغٍ تفذف الزبـدا

أو طـعـنـةً بيدَي حرَّانَ مـجهِزةً ** بحربـةٍ تُنفذ الأحشـاءَ والكبدَا[٣٤]

اتّضح في هذه الأبيات بأن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يتشوق إلى الموت ويترك الدنيا ونعيمها وزخارفها، ويسأل الله العفو والرحمة في الآخرة، ويتمنى نعيم الجنة، وهذا فلاح خالد في الدنيا والآخرة، فقد أدركه ابن رواحة رضي الله عنه من قرار نفسه.

الخاتمة

كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه شاعرا كبيرا في الجاهلية والإسلام، فقد لعب دورا هامّا في انتشار الإسلام بالسيف في ميدان القتال بإزاء أعداء الله ورسوله، حيث شهد بدرًا وأحد والخيبر حتى اُشْتُشهِد في مؤتة، كما أنه ساهم خدمات بارزة بالشعر في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام والمسلمين من شعراء الكفار والمشركين، حيث وصف النبي صلى الله عليه وسلم أنه من الشعراء المحسنين.

المراجع المصادر

١ الشعراء الثلاثة هم حسان بن ثابت (٥٦٣م– بين عامي ٥٠ و ٥٤هـ)، وكعب بن مالك (٥٩٨م– بين عامي ٦٧٠ و ٦٧٣م)، وعبد الله بن رواحة (الوفاة–٨هـ)

٢ ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر، ١٩٥٧م)، ج ٣، ص ٥٢٦

٣ محي الدين ابن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات (مصر: الطباعة المغيرية، ب، ت)، ج ١، ص ٢٦٥

٤ محمد بن سلام، طبقة فحول الشعراء (جدّة: دار المدني، ب، ت)، ج ٢، ص ١٠٠

٥ ابن عساكر، التهذيب (دمشق: المكتبة العربية، ب،ت)، ج ٧، ص ٣٨٧

٦ يوسف الكندهولوي، حياة الصحابة (دمشق: دار القلم، ١٩٨٣م)، ج ١، ص ١٠٥

٧ ابن هشام، السيرة النبوية (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧١م)، ج ٢، ص ٨٢

٨ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة (بيروت: دار صادر، ب،ت)، ج ١، ص ٣٠٦

٩ وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة (الأردن: دار الضياء للنشر، ١٩٨٨م)، ط ٢،ص ١٥٩

١٠ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة،نفس المرجع، ج ١، ص ٣٠٧

١١ ابن الأثير، أسد الغابة (مصر: جمعية المعارف، ب، ت)، ج ٣، ص ١٥٦

١٢ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، الجامع الصحيح (بيروت: دار الجيل، ب، ت)، رقم الحديث ٢٦٨٧، ج ٣، ص ١٤٥؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م)، ج ١، ص ٢٠١

١٣ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، (مصر: ب، ت)، ج ١، ص ١٦٧

١٤ ابن عساكر، التهذيب، نفس المرجع، ج ٧، ص ٣٨٨

١٥ نفس المرجع، ج ٧، ص ٣٨٨

١٦ أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف، ب، ت)، ج ٤، ص ١٩٩

١٧ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، نفس المرجع، ج ١، ص ٣٠٦

١٨ محمد بن سلام، طبقة فحول الشعراء، نفس المرجع، ج ١، ص ٢٢٣

١٩ ابن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الصحابة (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م)، ج ٣، ص ٨٩٧

٢٠ وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة، نفس المرجع، ط ٢، ص ٥٦

٢١ ابن رشيق، العمدة (بيروت: دار الجيل، ١٩٨١)، ج ١، ص ٩

٢٢ القرآن الكريم، سورة الشعراء: ٢٢٤–٢٢٦

٢٣ القرآن الكريم، سورة الشعراء: ٢٢٧

٢٤ ابن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، نفس المرجع، ج ٣، ص ٨٩٨

٢٥ وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة، نفس المرجع، ط ٢، ص ١٥٩

٢٦ محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، نفس المرجع، ج ١، ص ٢٢٦

٢٧ وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة، نفس المرجع، ص ٦٨

٢٨ نفس المرجع، ص ١٦٤

٢٩ مصطفى محمود يونس، أدب الدعوة الإسلامية (الأردن: مطبعة فاعل خير، ١٩٨٨م)، ص ٦

٣٠ وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة، نفس المرجع، ص ٩١

٣١ نفس المرجع، ص ١٢٩

٣٢ نور الدين السهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٧٤هـ)، ج ١، ص ٢٥٣

٣٣ ابن هشام، السيرة النبوية، نفس المرجع، ج ٣، ص ١٣٠

٣٤ نفس المرجع، ج ٣، ص ١٣٠